الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد

عهد الله

الحلقة السابعة عشر

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات.....

جورجيوس: ما هي آخر الأخبار يا ماركوس.

ماركوس: لقد بدأ العرب يتجمعون قرب وادي اليرموك.

جورجيوس: وما هي قوتهم؟

ماركوس: انهم في تقدير رجالنا الذين يراقبونهم لا يتجاوزون الثلاثين ألفا بين فرسان ورجالة.

جورجيوس: الا تعجب يا ماركوس من هؤلاء الناس؟ لقد طالما تساءلت وأنا استعرض ما حدث بيننا وبينهم حتى اليوم. ما هي طبيعة هؤلاء الناس؟ هل يتصرفون كمغامرين يبحثون عن المال ويجمعون الذهب والفضة؟ أم أنهم جادون في تغيير الشعوب كما يقولون؟

ماركوس: فما رأيك أنت؟

جورجيوس: لست أدري.. لكنني أتصور أنهم لم يبلغوا الدرجة التي تتيح لهم أن يفكروا بتغيير الدنيا وتشكيل العقول من جديد.. انني مرغم على الاعتقاد بأنهم لا يشغلهم غير المال والبحث عن الذهب والفضة وأنهم بعد الحصول على ما يبحثون عنه سيعودون إلى بلادهم.

ماركوس: هل تريد أن تقول أنهم موجة من تلك الموجات البربرية التي تحطم المدن وتحرق البيوت وتسلب الثروات ثم تتفتّت صفوفها من بعد شأن الموجات المغولية التي انقضت على روما منذ ثلاثة قرون تقريبا بزعامة أتيلا؟

جورجيوس: لا أستطيع يا ماركوس الا أن أجد فيهم هذه الصورة فما رأيك أنت؟

ماركوس: رأيي أنك على خطأ وأنهم شيء آخر.. الموجات البربرية يا جورجيوس تتألف من رجال قساة لا يشغلهم غير القتل والتخريب. إنهم يقتلون إشباعا لشهوة القتل ويخربون لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون بالعمران.. إنهم بتعبير آخر زلزال كزلزال الأرض يهدم ويقلب الأرض عاليها سافلها دون أي غرض غير التنفيس عن شهوات التخريب والدمار.. أما هؤلاء العرب فهم شيء آخر. فهم يرددون شعارات معينة ويطرحون دينا. فإذا

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

دخلوا مدينة لم يقتلوا أحداً من أبنائها ولم يهدموا بناء من أبنيتها. بل يتحوّلون فجأة إلى قوة انضباط وانتظام ويتعاملون مع المغلوبين بالعدل وفي ضوء قواعد محددة.

جورجيوس: إذاً فأنت تعتقد أنهم جادون فيما يزعمونه من عزمهم على تغيير عقول الشعوب وحمل دين جديد إلى الناس كافة؟

ماركوس: هذا ما أميل إليه.

جورجيوس: لماذا لا تكون شعاراتهم وسيلة من وسائل الدعوة والتأثير على عقول الناس؟

ماركوس: هذا يا جورجيوس تساؤل لا يرد أبداً.

جورجيوس: ولماذا؟ لقد فعل هذا غيرهم من الفاتحين والغزاة السابقين.

ماركوس: قد يرد هذا التساؤل عند من لا يعرف هؤلاء العرب. أما أنا فقد عرفتهم عن قرب. وجاءتني معلومات مفصلة وثيقة عن طريقة حياتهم.. فلو نظرت إليهم في حياتهم اليومية لتبين لك أنهم جادون في دينهم مؤمنون بقداسة رسالتهم يتعامل بعضهم مع بعض بعيدا عن أية رقابة بمقتضى هذا الدين.

جورجيوس: وكيف ذلك يا ماركوس؟

ماركوس: تصور أنهم كما قال لي أحد رجالي: أنهم رهبان في الليل فرسان في النهار.. يقاتلون في الحرب قتال من يكره الحياة الدنيا ويسعى فرحا إلى الموت.. بينما ينقلبون في الليل إلى عباد زاهدين قد خلصت قلوبهم لله وأخلصوا دينهم له.

جورجيوس: إذاً فنحن أمام محنة هائلة؟

ماركوس: أعتقد ذلك. واسمح لي أن أضيف إلى ما قلت لك: أنهم لا يفقدون أعصابهم في أي موقف.. أن أيا منهم يمكن أن يقودهم دون أن يثير حقدا أو غيرة أو حسدا عند سواه. تصور أن أبا عبيدة بن الجراح قد تنازل عن القيادة بطيبة خاطر حين جاء خالد بن الوليد على رأس فوجه من الفرسان قادماً من العراق. وفي ظني أن شيئاً لن يتغير لو أن خليفتهم قد عزل خالداً وعين أي شخص آخر مكانه وهذا لسبب بسيط هو ثقتهم التامة باستقامة ولي أمرهم وجدّيتهم في الدعوة التي يحملون.

جورجيوس: واذاً ستكون معركة اليرموك حامية.

ماركوس: بل ستكون حاسمة فيما أعتقد ولن تنفعنا كثرتنا ما لم نتعلم من هؤلاء الغزاة كيف نتخلق بأخلاق النصر.

نقلة موسيقية.....

مساعد: أيها الأبناء: هكذا كانوا: رهبان في الليل وفرسان في النهار مع بساطة في العقيدة وعمق في فهم رسالة الإسلام. كانوا يعبدون الله بعيدا عن إغراءات المظاهر وصخب الطقوس.

خالد: ما دمت قد حددت لنا طبيعة العبادة عند السلف الأول من المسلمين فقد رغبت من ذلك فيما يبدو لي في عقد مقارنة بين عبادة المتصوفة وعبادتهم؟

مساعد: كل عبادة يا خالد تتم في صمت وتواضع ودون صخب مفتعل مع القيام بالواجب والعمل في الأرض والاستقلال في كسب الرزق والدفاع عن الدين أمام الأخطار الداهمة هي العبادة الصحيحة.. أما العبادات التي تتم على طريقة المهرجانات واثارة العامة والانفصال عن الحياة اليومية وتحول أصحاب هذه المهرجانات إلى رجال يتنازعون على جذب العامة فهذا ليس مما جاءت به رسالة الإسلام.

خالد: حسن يا أستاذ مساعد.. فهل تعتقد أن الطرق الصوفية في التاريخ الإسلامي كانت تجعل من العبادات مناسبة لإقامة مهرجانات للعامة؟

مساعد: لا يسعنا يا خالد أن نطلق حكماً عاماً على كل أصحاب الطرق من المتصوفة.. لكنهم بصورة عامة كانوا يمثلون الأوضاع النفسية والاجتماعية في ذلك العصر.. وليس أدلّ على ذلك من أن رجلاً صالحاً كالعز بن عبد السلام قد اتخذ موقفاً حازماً في مقاومته لبعض الطرق الصوفية وإنكاره بصورة خاصة على "الطريقة الحريرية" وشيخها السيد علي الحريري.

خالد: ولماذا كان يحمل على هذا الحريري بالذات؟

مساعد: لأنه كان من أجل اجتذاب العامة لا يتردد في إعفائهم من بعض التكاليف الدينية.. لقد تحولت بعض الطرق بسبب من التنافس على جذب العامة إلى تيارات متعارضة تتسابق في اجتذاب الناس عن طريق المزايدات في إعفاء الناس من بعض واجباتهم. والحمد لله أن الجميع لم يكونوا كذلك.

خالد: وما رأيك يا أستاذ مساعد في الإعلام والأزياء الخاصة والملابس التي راحت تتبنى نوعا أو أنواعا معينة منها كل طريقة من الطرق؟

مساعد: أن هذه الظاهرة هي الدليل على تحول هذه الطرق الى أسواق تجارية تتنافس في الاغراء والتأثير على الناس بأساليب التشويق واثارة الخيال. وما هكذا جاءت دعوة الإسلام. لقد جاء الإسلام أيها الأبناء دينا على صورة الفكرة بكامل بساطتها وصدقها واستقامة الأخلاق عند أصحابها.. جاءت قوة في مواجهة مسؤوليات الدنيا وطهارة في مواجهة الآخرة.

خالد: لكنها حافظت على تراث الإسلام.

مساعد: ليس المهم أن نحافظ على التراث الإسلامي فقط بل يجب أن نهتم لصحة العقيدة وسلامة التفكير واستقامة الأخلاق وحيوية الجهاد.. صحيح أن الإسلام قد بقي الدين الرسمي للشعوب الاسلامية لكنه في تلك القرون وبعدها فقد حيويته وفعاليته في صنع الحياة النامية المتطورة وفي تنوير العقول لأنه تحوّل بسبب هذه المهرجانات الدينية إلى مجرد طقوس منفصلة عن الحياة اليومية. إن الحفاظ على التراث الإسلامي لا يكون صحيحاً قادراً على بلوغ أغراضه التي جاءت دعوة السماء من أجلها ما لم يكن ينبوع قوة وتطوّر ومصدر عزة وثراء.

خالد: أعتقد أننا قد كونا فكرة واضحة عن مفهوم الرسالة الاسلامية بعد الذي قلته لنا.. لكن المعروف أن رجالا من كبار المتصوفة قد قاموا بمهمات كبيرة في الحفاظ على عزة الإسلام والتمسك بشعائر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهلّا حدثتنا عن بعض هؤلاء؟

مساعد: ليت أن هؤلاء الرجال كانوا كثيرين.. صحيح أن بعض المتصوفة في التاريخ قد قاموا بأعمال عظيمة فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وكم أتمنى أن يكثر هؤلاء الرجال فيدعون الناس إلى العمل للدنيا في الوقت نفسه الذي يدعون فيه للعمل للآخرة. بل أكرر ما قلته لكم من قبل أن الدنيا هي طريق الآخرة.. فمن حسن عمله في الدنيا ونهض لمسؤولياته الدنيوية كما يجب أن ينهض لها جهاداً في سبيل الله وسعياً إلى المعرفة وتحصينا لدار الإسلام واستقلالاً بمصادر الرزق وأهبّة لمواجهة الأخطار الخارجية.. إن من حسن عمله في الدنيا على هذه الطريقة فقد فاز فوزاً عظيماً.

خالد: لكنك لم تذكر لنا أهم الرجال وأبرزهم في عالم التصوف.

مساعد: إذا كان ولا بد من ذكر أبرزهم وأكثرهم تأثيرا فإن في مقدّمتهم على سبيل المثال رجالا من أمثال السيد أحمد البدوي والشاعر المتصوف عمر بن الفارض والشاعر شرف الدين محمد البوصيري صاحب قصيدة " البردة " والحسن الشاذلي وعبد الرحيم القنائي ثم تلميذه أبو الحسن الصباغ.

خالد: طيب يا أستاذ مساعد.. لو سئلت رأيك في إحياء هذه الطرق وتقويتها فماذا تقول؟

مساعد: أقول يا خالد.. إذا كان التصوف هو تقوى الله والالتزام بأوامر الله فان أعظم سبيل لهذا وذاك يكون بصدق النية والعمل ثم العمل ثم العمل.. أن صدق النية يشدنا إلى الله عز وجل.. وأما العمل فهو الذي تتحقق ثمراته بفضل النية الصادقة المصممة.. نحن نريد صوفية تتفجر بها عاطفتنا الدينية إخلاصاً لله عز وجل وإحياء للأرض وتنمية للاقتصاد وتعميقاً لتيارات المعرفة وسدّاً للثغور وتضحية في سبيل ما نعتقد أنه الحق من الله.. هذا هو العهد الوحيد الذي عهد به الله إلى عباده ولا شيء سواه.. فمن عمل به فقد فاز ومن تجاهله فقد باء بالخسران المبين.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله.

موسيقى نهاية.